



القدس مدينة الأديان

د. هدى درويش

أستاذة الأديان في جامعة الزقازيق

القدس هي تلك المدينة المتفردة بمكانتها وأهميتها الخاصة بين بقاع العالم، وهو ما جعلها مطمئناً ومصدراً لتنافس الإمبراطوريات من يونانية ورومانية وفارسية وغيرها، مروراً بالتار والصلبيين في القرون الوسطى حتى الاحتلال الحديث الذي نواجهه من جانب الصهيونية بمساعدات أميركية. كذلك تعدّ القدس متفردة بشهودها مختلف الأعراق والألوان والعقائد والأديان على أرضها، حيث تقدم لنا ملحمة إنسانية بما تحويه من مقدسات لمختلف الديانات كرمز للسلام على الأرض.

والقدس من أقدم مدن الأرض تاريخياً، إذ ترجع نشأتها إلى 3000 ق.م وكان يسكنها البيوسيون، إحدى القبائل الكنعانية الذين نشؤوا في قلب الجزيرة العربية ثم نزحوا عنها حوالي (3000 ق.م).. وكان العرب الكنعانيون هم أقدم مَنْ قَدَسَ وتعبّد في هذه المنطقة، وكانوا يطلقون عليها أورشاليم. وهي كلمة كنعانية آرامية، أطلق عليها هذا الاسم قبل ظهور النبي موسى عليه السلام بعدة قرون، ثم عدّها الصهاينة من الأسماء العبرية.

وتلك المنطقة هي الموضع الذي أقام فيه إبراهيم عليه السلام، والمكان الذي دفن فيه.

وكان داود "عليه السلام"، أول من نقل اليهودية من دين البداوة إلى دين الحضرة، حيث أقام

في القدس مركزاً سياسياً له، كما جعلها عاصمة إدارية وسياسية لمملكته دام وجودها ثمانين عاماً، لكنها لم تأخذ أبعادها وأهميتها الدينية إلا حينما تسلّم سليمان عليه السلام الملك مع بداية بنائه للهيكل.

أما الصهاينة فيعتبرون القدس، الأرض النقية الوحيدة التي يكون فيها الوحي المقدس، أما خارجها فيكون مشوّشاً وملوثاً وغير نقي. ويربطون الأرض المقدسة بالشعب المقدس ويسمونها الأرض الموعودة وأرض الرّب، وقد سُمّيت في سفر زكريا "بالأرض المختارة" التي اختارها الرّب ومعه شعبه المختار.

كذلك يزعمون أن القدس عند الإله أثمن من السموات والأرض، وأن الرّب اختار "أورشليم" لنفسه وأطلقوا عليها "مدينة الرّب" لأنهم يعتقدون أنها ستكون سكن الإله في آخر الأيام.

وفيا يختص بالصخرة المشرفة، فيضفي التلمود عليها هالة من القداسة والتعظيم، حيث جاء فيه أن "الله بدأ خلق الأرض من تلك الصخرة، وأنها حجر الأساس للأرض" ويذكرون أنها كانت ملكاً لليوسي "أرونا" ثم اشتراها منه داود عليه السلام، وجعل عليها معبداً لله تعالى - حسب زعمهم -.

أما حائط البراق، فهو ذلك الجزء من الحرم الشريف الذي يعدّ تاريخياً ملكية خاصة بالمسلمين طبقاً لتقرير الهيئة العالمية التي تشكلت وقت الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1930م، والذي أعيد تأكيده في 23 شباط/ فبراير 1968م بعد احتلال إسرائيل لفلسطين، حيث تطور الأمر إلى الزعم بأن حجارة هذا الجدار أُخذت من هيكل سليمان مما يلزم البكاء عنده حزناً على الهيكل، وقد تجرّؤوا على حرمة بأن قاموا بتغيير مسماه إلى حائط المبكى.

وإذا نظرنا إلى مصادر التاريخ الإسلامي، نجد أنها لم تذكر المزاعم اليهودية حول الحائط، ولا زيارتهم له، كما لم نجد حديثاً عما يسمى (حائط المبكى) أو (الحائط الغربي) وهما اسمان لم يظهر إلا في رحلات الأوربيين فيما بعد، كما أن الرحالة ناصر خسرو الذي قام بزيارة القدس سنة 438هـ لم يذكر مبكى لليهود، ولم يشر إلى بكائهم عنده، أيضاً لم يشر إليه الإمام الغزالي (رحمه الله) حين زار القدس وأقام فيها نحو سنة، وعندما قام الراهب الألماني (فلكس فابري) بزيارة للقدس عام 1484م وقام بتدوين رحلته بالتفصيل، لم يذكر فيها ما يسمى حائط المبكى أو بكاء اليهود عنده.

وفيا يختص بالهيكل، والذي - حسب زعمهم - أنه موجود أسفل المسجد الأقصى، وأنه



بمنزلة سرّة العالم، والنقطة التي عندها خلق الإله العالم، وأنه كنز الإله مثل جماعة يسرائيل، كما يزعمون أن الإله قرر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه.

وتوظف الصهيونية وجودها في القدس بمنظور ديني، باعتبار أن اليهود شعب الله المختار المرتبط ارتباطاً عضوياً بأوامره، حيث استخدموا كل وسائلهم على كل المستويات النظرية والعملية والإعلامية في الداخل والخارج للترويج لهذه العقيدة الإلهية، زاعمين أن لليهود حقهم في الأرض كشرعية أقرها الإله.

والقدس في المسيحية هي ذلك المركز الروحي المسيحي الأقدم والأكثر عراقةً في العالم، وهي الحاضنة لأهم المقدسات المسيحية، والمكان الذي عاش فيه السيد المسيح، وبشر فيه وصلب - حسب الرؤية المسيحية -

وتتعلق أفئدة المسيحيين بالأماكن التي انتشرت فيها رسالة المسيح والتي تستقطب الكثير من الحجاج المسيحيين وأعداداً كبيرة من المصلين، كذلك الكنائس المنتشرة هناك مثل:

• كنيسة القيامة، فحسب المعتقد المسيحي فإن كنيسة القيامة تحتوي على قبر السيد المسيح وقبور يوسف الراعي، وجدير بالإشارة أن القائد صلاح الدين الأيوبي عند فتحه للقدس حافظ على هذه الكنيسة بعد إعمارها من جديد واحترم مكانتها الدينية لدى المسيحيين. كما تحتوي على موقع العشاء الأخير، وطريق آلام المسيح، وهو الطريق الذي سلكه السيد المسيح من باب الأسباط إلى كنيسة القيامة عندما قام اليهود بتعذيبه وجلده.

• كنيسة السيدة مريم، وتحتوي على قبور "مريم البتول" ووالديها وكذلك قبر يوسف النجار، وقد بنيت بين عامي 450 - 457م.

• كنيسة القديسة حنة (الصلاحية) وتقع شمالي الحرم القدسي، وقد أتى السيد المسيح في هذا الموقع بإحدى معجزاته.

• كنيسة الجثمانية، وتقع على جبل الزيتون، ويعتقد المسيحيون أن موقعها شهد عملية القبض على السيد المسيح عندما وشى به "يهوذا الأسخريوطي" ويعتقدون أنه صلى هناك في الليل قبيل اعتقاله.

• كنيسة العلية (دير صهيون): ويعتقد المسيحيون أن "السيد المسيح" تناول وأتباعه عشاءهم الأخير فيها. وقد وصفتها الموسوعة الكاثوليكية بأنها أول كنيسة في العالم، وتعدّ مركز المسيحية المبكرة.

• كنيسة الصعود: بنيت سنة 392 للميلاد، وهي التي بنيت على جبل الزيتون في المكان الذي يعتقد أن "السيد المسيح" صعد منه إلى السماء. وتعدّ أعلى بناء في القدس على الإطلاق.

- ويضاف إلى هذه الكنائس عدد كبير من الأديرة التي لها قداسة كبيرة لدى المسيحيين.

أما التراث الإسلامي في القدس، فيزخر بمكانة روحية عالية في قلوب المسلمين، حيث إنها ترتبط بالتاريخ والعراقة كما ترتبط بالشعائر العبادية، فقد عاشت القدس في ظل الفتح الإسلامي على يد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أربعة عشر قرناً من الزمان، وكان بيت المقدس قبلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مدة ستة عشر شهراً حتى وجهه الله عز وجل نحو الكعبة المشرفة بمكة المكرمة.

وأهم الأماكن المقدسة في القدس التي تهوي إليها أفئدة المسلمين، المسجد الأقصى (الحرم الشريف) ومسجد الصخرة، الذي يقع في الجهة الشرقية الجنوبية من المدينة القديمة، إضافة إلى مساجد أخرى كثيرة يبلغ عددها (35) مسجداً.

وقد جاء ذكر المسجد الأقصى في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نظراً لمكانته العالية ومنزلته المقدسة، فقد روي عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن المسجد الأقصى بُني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة. (رواه البخاري ومسلم).

وفي ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بفضل الصلاة في المسجد الأقصى فقال: "صلاة الرجل في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة". (رواه ابن ماجه).

وعن فضل بيت المقدس يقول أنس بن مالك (رضي الله عنه): إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت المقدس، وبيت المقدس من جنة الفردوس، والفردوس الأعلى هو هنا ربوة في الجنة، هي أواسط الجنة وأعلاها وأفضلها.

وتحتوي القدس على الكثير من الآثار الإسلامية، حيث تضم (460) مدرسة، و(40) زاوية ومقبرة وضريحاً، و(25) مسجداً ومئذنة، و(22) سبيلاً وحماماً، و(35) أثراً داخل المسجد الأقصى، كما تضم (34) طريقاً، و(9) أسواق، و(8) أسوار وأبواب قديمة، والمسلمون يتوجهون إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وحائط البراق بكل التقديس والإجلال.



كذلك تحتوي مدينة (القدس) المباركة على عدد كبير من الزوايا التي تنسب إلى بعض الطرق الصوفية، من أهمها:

• الزاوية النقشبندية: وتقع بالقرب من زوايا الحرم الشمالية الغربية، والتي بناها مؤسس الطريقة النقشبندية الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخاري لإيواء الغرباء وإطعام الفقراء.

• الزاوية الرفاعية: وتقع بداخل الحرم القدسي إلى الشمال.

• الزاوية البسطامية: أوقفها الشيخ عبد الله البسطامي.

• الزاوية القادرية: وتقع على بعد بضعة أمتار من الزاوية النقشبندية.

• الزاوية المولوية: ويقام فيها أتباع الطريقة، حيث دخلت بيت المقدس في أوائل الحكم العثماني (925هـ - 1519م).

هذا وتدرك الصهيونية أن تغييب الجانب العقدي الإسلامي للقدس هو الضمان لبقاء القدس في أيدي إسرائيل.

ومن هنا يتحتم على المسلمين النظر في أهمية معطيات الجانب العقدي للقدس في الإسلام واستنهاض الهمم في التأكيد على أهمية القدس في الوجدان الإسلامي والعربي.

إن تهويد القدس وما يجرى عليها من أحداث بهدف إقصاء شعبها العربي الفلسطيني، سواء بالتهجير أو الاستيطان أو الاغتصاب وجعلها عاصمة أبدية لإسرائيل هو عمل خارج عن التاريخ والقوانين الشرعية والوضعية، يقوم به كيان خارج عن التاريخ وخارج عن كل الحق والعدل أو المعنى الإنساني للحياة.